كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف في بيروت، خلال حفل توزيع الشهادات في حرم العلوم الطبيّة، يوم الخميس الواقع فيه ٣ تمّوز (يوليو) ٢٠١٤.

١. أيّها الطلاّب الأعزّاء خرّيجي العلوم الطبيّة، اسمحوا لي أن أوجّه إليكم، في بداية خطابي، كلمة تهنئة لنجاحكم بعد فصولٍ من الدراسة والكدّ في التحصيل العلميّ. كلمة تهنئة التي نستعملها في مناسباتٍ كهذه تعني أنّ الشخص الذي ينجح، خصوصًا في جامعة القدّيس يوسف، يستحقّ بحقّ أن نتمنّى له لحظات فرح ورفاهية بعد زمنٍ من الكدّ والعناء والتضحية. نعم، إنّه لحدثٌ سعيد يحصل اليوم وأنتم تستحقّون كلّ الثناء والمديح لقوّة شخصيّتكم وإرادتكم ولرغبتكم بالنجاح والإشعاع. أستطيع أن أقول إنّكم، في وضعكم، وخاصّةً الذين واللواتي أنجزوا وأنجزن المسار الأكاديمي الذي يستغرق سبع سنوات من الطبّ، تستحقّون أحرّ التهاني وإن كانت الطريق لا تزال طويلة حتّى يتسنّى لكم أن تقولوا لأنفسكم أنّ الأمر انتهى.

٢. صحيح أنّ ما تنتظرونه، أعزّاءنا الخرّيجين، هو هذه الورقة الجميلة المرسومة بطريقة جيّدة وعليها يشعّ اسمكم مثل نجمة لن تختفي أبدًا. إنّه حقّكم الأساسيّ لأنّ هذه الورقة سوف تتوافق مع مستقبلكم المهني والإنساني. إنّها مثل مفتاحٍ ذهبيّ بحوزتكم تبلغوا به قاعةً تزخر بالكنوز. مع ذلك، أودّ أن أتأكّد أنّ هذا الدبلوم يشكّل شهادة مصدّقة لكم ولنا، وأنّكم اكتسبتم هذه الشخصيّة المثقّفة والقويّة التي نحلم بها، شخصيّة المتخرّج الحائز على دبلوم والذي لا يمتلك كفاياته المهنيّة على الورق فحسب ولكن على أرض الواقع ونريد أن نتأكّد أيضًا أنّكم اكتسبتم الثقافة والكفايات اللغويّة التي ستتيح لكم تفاعلاً كبيرًا في كلّ وضعٍ من الأوضاع وتبيّن أنّ جامعة القدّيس يوسف ليست علبةً تحتوي شهادات بل مدرسة كبيرة للحياة. هذا الدبلوم هو شهادة أنّكم اكتسبتم أيضًا القيم الأخلاقيّة التي يجب أن يتمتّع بها شخص مهنيّ من ناحية ليكسب رزقه بطريقة جيّدة ولكن أيضًا لكي لا تجعله مهنته يخسر حياته.

٣. أيّها الأهل الأحبّاء أهل المتخرّجين والمتخرّجات فردًا فردًا، معكم بوصفكم شركاؤنا نحن فخورين بأبنائكم فلذات أكبادكم وبما حقّقوه البارحة في صفّ الروضة واليوم في وقفة المتخرّج والمتخرّجة وممّا اكتسبوه من علم ومن طاقة فكريّة وأخلاقيّة خلال زمن وجودهم في الجامعة متوجّهين صوب التزامهم الإنساني والمهني. فاليوم أيّها الأهل إنّما تحضرون ما زرعتموه فيهم ومن أجلهم من الحبّ والعاطفة، من الوقت والصبر من الثقة والرعاية الدائمة، فتكبر قلوبكم فيهم وكونوا مثلنا بهم فخورين.

٤. أيّها الطلاّب الأعزّاء، خرّيجي العلوم الطبيّة، قبل التكلّم عمّا ستفعلونه وما لا تفعلونه، إنّ القَسَم الذي ستؤدّونه يدلّ أنّكم في رسالة تتّسم بطابع مقدّس بمجرّد أنّكم ستعملون على جسد أو نفس الإنسان بغية الاعتناء بهما وأنّكم ستحرّرون الإنسان من ألمه المعنويّ والجسديّ وأنّكم ستقومون بعملٍ شفائيّ يُعتَبَر، بالنسبة إلى كلّ الأديان، أمرًا إلهيًّا. حتّى بالنسبة إلى غير المؤمنين، العمل على شفاء شخص هو مساعدته بطريقة ما ليستعيد كرامته كرجل أو كامرأة، مع العلم أنّ كرامة الإنسان هو المبدأ الذي بموجبه لا يجب أن يُعامَل الإنسان كغرض أو كوسيلة بل ككيان ذاتيّ. إنطلاقًا من هذا الواقع، يستحقّ الإنسان الاحترام غير المشروط بمعزل عن صحّته الجسديّة أو المعنويّة أو وضعه الاجتماعيّ أو دينه وأصله. لذلك، قولوا دائمًا لأنفسكم، كما أنّ مِهَن العلوم الطبيّة هي رسالة، أقول لنفسي معكم ما يلي : ليست الرسالة هي في خدمتي بل أنا في خدمة الرسالة.

٥. هذه المعادلة التي علينا أن نفهمها كلّنا ونحقّقها مدوّنة بأحرفٍ من ذهب لا نراها دائمًا زخرفًا لمداخل كليّاتكم. من هنا، أدعوكم أن تضعوا هذه الشهادة في إطارٍ جميل يتوجّب عرضها لزوّار منزلكم لكي يتأكّدوا أنّكم نجحتم جيّدًا في امتحان الطبّ أو طبّ الأسنان أو الصيدلة وكذلك في الإمتحانات الأخرى. ولكن، بالنسبة إليكم، حين تنظرون إلى الإطار حيث شهادتكم تسطع بشتّى الأضواء، قولوا لأنفسكم : ها هي الرسالة التي ائتمنتني عليها كليّتي، ماذا فعلتُ بها ؟ لذلك، من الضروري أن تعزّزوها بحضور المؤتمرات المتخصّصة والتنشئة للحياة في كلٍّ من اختصاصاتكم وفي الرغبة بالقيام بالأبحاث العلميّة الأساسيّة والتطبيقيّة التي تسري منذ فترة واليوم أكثر من ذي قبل. ولكن لا تقولوا لأنفسكم إنّ العلم وحده ذو أهميّة ولا شيء إلاّ العلم لا بل من المهمّ اتّباع برامج التنشئة المتواصلة والحلقات الدراسيّة التي تطرح الأسئلة الحقيقيّة التي يطرحها علم أخلاقيّات الطبّ والأخلاق اللذان يسعيان لصون كرامة الإنسان.

٦. أيّها الأصدقاء والخرّيجين الأعزّاء، في وقتٍ يمرّ فيه بلدنا ومنطقتنا بمرحلة حرجة حيث يبدو أنّ الكرامة الإنسانيّة لا ثمن لها، يحتاج لبنان لنا كما تحتاج لنا كلٌّ من بلادنا لكي نكون أجيال المعارضة والرفض للحروب التي تندلع بين الأخوة والمدمّرة للإنسان والمجتمعات كما للأديان والمعتقدات. لماذا نصرّ أن نعيش في هذا البلد، لبنان ؟ لأنّنا نريد أن نعيش فيه فرح أن نكون نحن أنفسنا ونكون معًا وأن نحقّق طاقاتنا الحيويّة والفكريّة والروحيّة. نحن نريد أن نعيش فيه بحكم أنّنا أصحاب قضيّة ورسالة ألا وهي المواطنة التي تعني باختصار أنّنا لسنا فقط مسؤولين عن أنفسنا بل عن صيرورة الآخرين أيضًا. لهذا السبب، لا يجب أن نرزح تحت وطأة القدريّة الإستسلاميّة التي تعني أنّ كلّ شيء مجمّد. فليبقَ رأسنا مرفوعًا ولنعش دومًا الأمل الثابت أنّ مستقبل الحريّة هي قضيّتنا. بهذا، ستأخذ رسالتكم معناها الكامل

وسوف نُدعى أبناء شرفاء لبلدٍ كبير هو لبنان وقدامى حقيقيّين لجامعة أصيلة وموثوق بها هي جامعة القدّيس يوسف.